مجلة جامعة طرطوس للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (٩) العدد (٨) ٢٠٢٥
Tartous University Journal for Research and Scientific Studies –Arts and Humanities Series Vol. (9) No. (8) 2025

الأسلوب في النَّقد العربي القديم والحديث
ظروف النشأة وتطور المصطلح

أ. د. محمد معلا حسن*

لبانة حسين حسن**

(تاريخ الإيداع ٨/١٢ /٢٠٢٥. قُبِل للنشر في ٩/٢٤ /٢٠٢٥)

□ ملخّص □

يهدف هذا البحث الموسوم بـ (الأسلوب في النقد العربي القديم والحديث) إلى تتبّع معاني كلمة (الأسلوب) كمصطلح، ومفهومه عند العرب عبر مراحلهِ التاريخية، من أجل الوقوف على خصائصه وميّزاته، وقد قامت هذه الدراسة على جمع آراء النّقاد والبلاغيين منذ عهد سيبويه حتى عصرنا الحالي حول هذا المفهوم القديم الذي شكّل منطلقاً في البحث الأسلوبي الحديث، بهدف تأصيله والبحث عن جذوره في النقد العربي القديم، ومن ثمَّ الانطلاق إلى المعاني الحديثة، والتعريفات المتنوّعة التي قدّمها الباحثون المحدثون الذين واءَموا ما بين الأصالة والحداثة في دراساتهم الأسلوبية النظرية والتطبيقية، وذلك كله من خلال اتباع المنهج الوصفي في تفنيد هذا المصطلح الذي جاء بمعنى طريقة التعبير أو أداء المعنى تارة، وبمعنى النوع الأدبي تارة أخرى، ثمّ ارتبط بمصطلح النظم كما عند عبد القاهر الجرجاني ، وبمصطلح المنزع كما عند القرطاجني، في حين جعله ابن خلدون القالب أو المنوال، وبقي هذا المصطلح يتطور حتى عصرنا الحالي، ولم ينغلق مجال البحث فيه عند نقادنا المحدثين الذين استفادوا من مباحث الفكر الأسلوبي الغربي في تحليلاتهم وتأملاتهم لمصطلح الأسلوب.

الكلمات المفتاحية: الأسلوب، النّقد القديم، النّقد الحديث، النّظم.

*أستاذ دكتور – كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم اللغة العربية، جامعة طرطوس.
**طالبة دراسات عليا (دكتوراه)، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة طرطوس.

مجلة جامعة طرطوس للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (٩) العدد (٨) ٢٠٢٥
Tartous University Journal for Research and Scientific Studies –Arts and Humanities Series Vol. (9) No. (8) 2025

Style In Ancient And Modern Arabic Criticism The circumstances of its emergence and the development of the term

*Dr. Muhammad Mualla Hassan
**Lubana Hussein Hassan

□ABSTRACT□

(Received 12/8 /2025. 24 /9/2025)

This research, entitled (Style in Ancient And Modern Arabic Criticism**,** The circumstances of its emergence and the development of the term), aims to trace the meanings of the word (style) as a term, and its concept among the Arabs through its historical stages, in order to determine its characteristics and advantages. This study was based on all the opinions of critics and rhetoricians from the era of Sibawayh until our era. Concepts about this ancient concept that formed a starting point in modern research, with the aim of comprehensively rooting it beyond its limits, then proceeding to the modern meanings and various definitions included by the modernists who harmonized originality and modernity in their final, final and applied studies. All of this is through following the descriptive approach in refuting the phenomenon studied, this term which came to mean the method of expression or performance of meaning sometimes, and to mean the literary type other times, then it was linked to the term of the system as with Abdul Qaher Al-Jurjani, and to the term of the trend as with Al-Qartajani, while Ibn Khaldun made it the mold or model, and this term continued to develop until our current era, The field of research on it was not closed to our modern critics, who benefited from the discussions of Western stylistic thought in their analyses and contemplations of the term “style”.

Keywords: style , ancient criticism , modern criticism , structure.

*Professor Doctor - Faculty of Arts and Human Sciences - Department of Arabic Language - University of Tartous.
** Postgraduate student (PhD) - Faculty of Arts and Human Sciences - Department of Arabic Language - University of Tartous.

المقدّمة:

يعدّ مصطلح الأسلوب (Style) مصطلحاً نقديّاً متشعباً، فقد كثرتْ الدراسات النظرية والتطبيقية التي حاولت التعريف به، وتعداد خصائصه ومميّزاته، فعلى الرغم من أنّه مصطلح نقديٌّ حديثٌ جاءت به الأسلوبية الحديثة، إلّا أنّ جذوره ضاربة في عمق التاريخ، فقد مرَّ هذا المفهوم في تراثنا النّقدي القديم بمسارات عدّة، فمنهم من وجد فيه طريقة في التعبير وأداء المعنى، ومنهم من ربط مفهومه بالنوع الأدبي، والخصائص التعبيرية التي تميّز ما بين جنس أدبي وآخر، في حين وسّع بعضهم هذا المدلول، فجعله مرتبطاً بالمبدع، وبقدرته الفنية في اختيار الألفاظ وتأليفها بطريقة مميزة، وقد ارتبط عند بعضهم الآخر بمصطلح (النظم) الذي وُجِدَ بدايةً في مؤلفاتهم المبكرة التي انبرت تدافع عن لغة القرآن، وتدلّل على إعجاز نظمه، إلى أن استقرّ بشكله الناضج عند الجرجاني والقرطاجني، إذ ربطه الجرجاني بالمعاني النحوية وحسن التأليف بين المفردات، وقصره القرطاجني على المعاني من جهة، ثمّ قرنه بمصطلح (المنزع) من جهة أخرى، إلى أنْ توصل ابن خلدون إلى أنّه القالب أو المنوال الذي صحَّ لغةً ووزناً وجرى على طريقة القدماء، وقد أفاد نقادنا من الفكر النّقدي الغربي فكوّنوا نظرياتهم المتعلقة بالأسلوب متأثرين بها من جهة، وبما قدّمه نقادنا العرب من إرهاصات وشذرات تعهد للبحث الأسلوبي بشكله الحديث من جهة أخرى.

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى الإجابة على السؤال الآتي: (ما مصطلح الأسلوب في النقد العربي القديم والحديث؟)، من خلال ما تمّ جمعه من آراء النّقاد القدماء إلى أن يشير إلى أصالة مصطلح (الأسلوب) في تراثنا النّقدي العربي، إضافةً إلى الولوج إلى عتبات التفكير النّقدي الأسلوبي الحديث عند النّقاد العرب المحدثين الذين استلهموا من القديم، بما يتناسب مع معطيات الدّرس الأسلوبي الحديث.

أهمية البحث:

تكمن أهمية البحث في كونه كشف ملامح الدّرس الأسلوبي العربي في فكرِ نقادنا العرب القدماء، مبرزاً أصالة تراثنا العربي الذي تفطَّنَ إلى كثير من مميزات الأسلوب وخصائصه التي تتلاقى في غير قليل من المواضيع مع مباحث الأسلوبية الحديثة التي ظهرت في النقد الغربي الحديث مع بداية القرن العشرين، وكشف تأثّر نقّادنا المحدثين بمعطيات علم الأسلوب عند الغرب، وبالتراث العربي معاً.

منهج البحث:

قامت الدراسة على جميع آراء النّقاد الذين شكّلَت آراؤهم علامةً فارقةً في تاريخ البحث الأسلوبي عند العرب، بالاعتماد على المنهج الوصفي التاريخيّ الذي يتتبّع الظاهرة، ويفنّدها ويكشف خباياها.

الدراسة:

أ- النّقاد القدماء:

إنّ التّراث العربيّ النّقدي والبلاغيّ وحتّى اللغويّ منه قدّم مادة غنيّة عن (الأسلوب) بوصفه تصرّفاً في إمكانات اللغة بما تتيحه من اختيارات، وتقبله من تراكيب، فالتراث العربي النَّقدي البلاغي، وحتى اللّغوي منه قدّم مادة غنيَّة، فشكّلت منطلقاً مهماً للبحث الأسلوبي والتنظير له، وما يثيره التفكير الأسلوبي من قضايا ومشكلات[١].

وكان (سيبويه ١٤٨ هـ - ١٨٠ هـ) سبَّاقاً في هذا المضمار من خلال مؤلَّفه (الكتاب) الذي وإن كان نحوياً، إلّا أنَّه لا يخلو من بعض الإشارات والظواهر، التي تُعدّ من صميم البحث الأسلوبي[٢]، فمعه كانت الإرهاصات الأولى التي استفاد منها علماء البلاغة من بعده ليكوّنوا نظريّةً ومنهجاً في دراسة النّصّ الأدبي.

فقد تنبّه إلى ما يؤثّر بالخطاب كغرض المتكلّم، وفهم المخاطَب، ودلالة الحال، وسعة الكلام...وغيرها، وذلك من خلال عنايته بظواهر التقديم والتأخير، والحذف، والقلب... إلخ، فيبيّن مثلا سبب لجوء العرب إلى التقديم والتأخير بقوله: "وإنَّما يقدمون الذي بيانُهُ أهمُّ لهم، وهم ببيانه أعنى"[٣]، وهو بهذا يعزو ترتيب الألفاظ في تراكيبها إلى أهميتها بالنسبة إلى المتكلّم، ومن ثمَّ فإنّنا نجده يتحدّث عن أثر المخاطَب في انتقاء المتكلّم لألوان الخطاب، وتشكيل أساليبه، ومن ذلك ما أجازه في باب الإخبار عن النكرة بالنسبة، عند حاجة المخاطب إلى ذلك، وضربَ مثالاً على ذلك قوله (ليسَ أحدٌ خيراً منكَ) ، ويعلّق عليه: "إنّما حَسُنَ الإخبار ههنا عن النكرة، حيث أردتَ أن تنفي أن يكونَ في مثل حاله شيءٌ أو فوقَهُ، ولأنَ المخاطب قد يحتاج إلى تعلّمه مثل هذا"[٤]، وكأنّه يبيح للمتكلم العدول عن نظام الكلام وقواعده بما يتّفق مع علم المخاطب أو جهله، فعلم المخاطب كان سبباً في ظهور أساليب لغوية تخرج على المعيار، ومن ذلك ما ورد في باب الاستفهام بقوله:"بابٌ من الاستفهام يكونُ الاسم فيه رفعاً، لأنّك تبتدئه لتنبّهَ المخاطب، ثمّ تستفهم بعد، وذلك قولك: زيدٌ كم مرةً رأيتَهُ، وعبدُ اللهِ هل لقيتَهُ؟"[٥].

ولم يكتفِ بالإشارة إلى دور **المخاطب والمتكلم** في تشكيل الخطاب، بل إنّه أعطى أهميةً كبرى للحال والمقام (الموقف) الذي يجعل الموقف يحتّم عليه اختيار ألفاظه وتراكيبه، وما يطرأ عليها من حذف واختصار.. إلخ، ومن هذا استدلاله على جواز حذف الفعل عند دلالة الحال عليه في الأمر والنّهي، يقول"كقولك: الأسدَ الأسدَ، والجدارَ الجدارَ، والصَّبيَّ الصَّبيَّ، وإنَّما نهيته أن يقربَ الجدارَ المخوفَ المائلَ، أو يقربَ الأسدَ، أو يوطِئَ الصَّبيَّ"[٦]، وإنَّما حَسُنَ إضمار الفعل ههنا لأنّه حَمِلَ معنى التحذير، وكانت الحال دالّة عليه.

كما جاءَ بمصطلح **(سعة الكلام)** الذي قرنه بالاختصار والإيجاز، ومنه قوله: "بابُ ما يكونُ فيه المصدر حيناً لسعةَ الكلام والاختصار، وذلك قولك: متى سِيرَ عليه؟ فيقول : مقدمَ الحاجّ، وخَفُوقَ النَّجمِ، وخلافةَ فلانٍ، وصلاةَ العصرِ"[٧]، فالمصادر في أمثلة سيبويه (مقدم، وخفوق، وخلافة، وغيرها) استُعملت ظروفاً على تقدير (زمنَ مقدم الحاجّ) و(حينَ خفوقِ النّجمِ)...إلخ، وهذا الاتّساع في الكلام كلُّهُ راجعٌ إلى **علم المخاطب**، يقول: "وإنّما أُضمِرَ ما كان يقعُ

[١] عبد القادر زين ج الجلفة: الأسلوب بين القدامى والمحدثين، مجلة التراث، العدد (٩)، الجزائر، ٢٠١٣م، ص ١٠٠.
[٢] المرجع السابق نفسه، ص ١٠٠-١٠١.
[٣] سيبويه: الكتاب، ط٣، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ج١، بيروت، ١٩٩٠م، ص ٢٤.
[٤] المصدر السابق نفسه، ج١، ص ٣٧.
[٥] المصدر السابق نفسه، ج١ ص٨١.
[٦] المصدر السابق نفسه، ج١ ص١٥٢.
[٧] سيبويه: الكتاب، ج١، ص ١٣٨.

مُظهراً استخفافاً، لأنّ المخاطَب يعلمُ ما تعني"[١]، ويبدو أنّ سيبويه يرجع ظاهرة الاتّساع اللّغوي في كلام العرب، إلى ميلهم إلى الاقتصاد والاستخفاف في الكلام حين يكون المخاطب عالماً بمراد المتكلّم، ونقيضُ سعة الكلام والاختصار، فضولٌ في الكلام وهو غير محبَّذ لأنَّه لا يضيف شيئاً في حال علم المخاطب بالمقصود.

وتتبّع هذه الإرهاصات في **الكتاب** يطول، وتتّضح الصورة أكثر عند ثلةٍ من لغويي القرنين الثاني والثالث للهجرة انبرت للدفاع عن لغة القرآن الكريم ضد مطاعن المشككين فيه، أو المساوين له بالشعر في الإعجاز البياني، فكان لبحوثهم أثرٌ كبيرٌ في إثراء مفهوم الأسلوب، مع أنَّه لم يكن هدفهم ولا دافعهم في التأليف، بيدَ أنَّه جاءَ عرضاً واستطراداً، ومن بينهم الفرّاء (٢٠٧هـ)، والأخفش (٢١٥هـ) ، وأبو عبيدة معمر بن المثنى (٢٠٩هـ)، ولكنَّ مفهوم الأسلوب لم يتبلور عندهم بملامح محددة كما أضحى عليه عند من جاؤوا من بعدهم أمثال الجاحظ (١٥٩هـ- ٢٢٥هـ) الذي لم يورد لفظة (أسلوب) في مؤلّفاته، على الرغم من أنَّه أثار في كتابه (البيان والتبيين) فكرة تباين مستويات الأداء اللغوي، ومثّلها بتباين مستويات طبقات الناس، فكلُّ طبقة تتخيّر من الألفاظ ما يناسب المعاني التي ترمي إليها في محاوراتها، فالجزلُ من الألفاظ للمعنى الشريف، والعكس بالعكس[٢]، يقول: "وكلام النّاس في طبقات كما أنَّ النَّاس أنفسهم في طبقات، فمن الكلام الجزل والسّخيف، والمليحُ والحسن، والقبيح والسّمج، والخفيف والثقيل، وكلّه عربيّ، وبكلٍّ قد تكلّموا، وبكلٍّ قد تمادحوا وتعايبوا"[٣].

وكان لنظرية البيان التي جاء بها أهمية عظيمة في من جاء بعده، لا سيما أنَّه قد أدخل مصطلح (النظم) في دراسة القرآن الكريم، فتحدَّث عن النظم بمعنى حسن اختيار اللفظة المفردة اختياراً موسيقياً يقوم على سلامة جرسها، واختياراً معجمياً يقوم على ألفتها، واختياراً إيحائياً يقوم على الظّلال التي يمكن أن يتركها استعمال الكلمة في النفس، وكذلك حسن التناسق بين الكلمات المتجاورة تألّفاً وتناسقاً[٤]، وبذلك كان الأسلوب عنده مقترناً بالنظم.

ثمّ كشف ابن قتيبة (٢١٣هـ- ٢٧٦هـ) عن بعضٍ من نواحي الأسلوب، فيقول في (تأويل مشكل القرآن): "وإنَّما يعرفُ فضل القرآن من كَثُرَ نظره، واتّسع علمه، وفهم مذاهب العرب وافتنانها في الأساليب، وما خصَّ الله به لغتها دون* جميع اللغات"[٥].

ثم يشرح ما يقصده ب **(الافتنان في الأساليب)**، فيقول: "فالخطيب من العرب إذا ارتجل كلاماً في نكاح أو حمالة أو تحضير أو صلح أو ما أشبه ذلك، لم يأتِ به من وادٍ واحدٍ بل يفتنُّ: فيختصر تارةً إرادة التّخفيف، ويطيلُ تارة إرادة الإفهام، ويكرّر تارةً إرادة التوكيد، ويخفي بعض معانيه حتى يغمض على أكثر السامعين، ويكشف بعضها حتى يفهم بعض الأعجميّين، ويشير إلى الشيء، ويكني على الشيء، وتكون عنايته بالكلام على حسب الحال، وقَدْر الحَفْل، وكَثْرةِ الحشد، وجلالة المقام"[٦].

ونستشفّ من هذا القول أنَّ تعدُّد الأساليب يحتكم إلى عوامل مهمة منها:

- اختلاف المواقف التي يُقال بها الكلام، فما يُقال في موقف معين يختلف عما يُقال في غيره من المواقف، وهذا الاختلاف في الأقوال يأتي مراعاةً لما يقتضيه الحال.

---

[١] المصدر السابق نفسه، الصفحة نفسها.
[٢] عبد القادر زين ج الجلفة: الأسلوب بين القدامى والمحدثين، ص ١٠١.
[٣] الجاحظ: البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، ج١، القاهرة، ١٩٩٥م، ص١٤٤.
[٤] مريم مرابط: البنية الأسلوبية في قصيدة البكاء بين يدي زرقاء اليمامة لـ "أمل دنقل"، رسالة ماجستير، إشراف الدكتورة دلال فاضل، جامعة جامعة العربي بن مهيدي، الجزائر، ٢٠١٦- ٢٠١٧، ص ٩.
[٥] ابن قتيبة: تأويل مشكل القرآن، تحقيق إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلميَّة، بيروت، لبنان، ٢٠٠٧م، ص ١٧.
*وردت في المصدر (دون) وقد اتفق أنه من الأخطاء الشائعة والصحيح هو:(من دون).
[٦] ابن قتيبة: تأويل مشكل القرآن، ص ١٧.

▪ نوع الموضوع كذلك يؤدي إلى تعدد الأساليب وتنوعها، أي إنَّ الأدوات الفنيّة التي يستخدمها المتكلّم أو المؤلف من قواعد لغوية وبلاغية تحدّد نوع الأسلوب الذي يختلف من شخص لآخر وفقاً لحال المخاطب، وما يستدعيه (المقام)، فلكلِّ مقامٍ مقال.

فيكون بذلك الأسلوب شاملاً لأجناس الكلام جميعها من شعرٍ ونثرٍ وغيره، وما يتصل بذلك من فنون بلاغية، ونحوية، وصرفية، وغيرها. ولذلك فإنَّ مهارة الشاعر وافتنانه في المعاني، يعدُّ أسلوباً يتميّز به من غيره، فالشاعر المُفلق البليغ هو الذي يستطيع التصرّف في وجوه المعاني، ويخرجها في ضروب من الأساليب[١].

و**ابن طباطبا (ت ٣٢٢هـ)** من بعده قد أكَّد أيضاً على أهمية النظم، فهو يُعرّف الشعر بأنَّه "كلامٌ منظومٌ بائنٌ عن النثر الذي يستعمله الناس في مخاطباتهم بما خُصَّ به من النظم"[٢]، وأنَّ "للشعر أدوات يجب إعدادها قبل مراسه، وتكلُّف نظمه"[٣]، فالنّظم إذن هو ما يميّز ما بين لغة الشعر والنثر، وهو عنده صناعة كغيره من الصناعات تحتاج إلى أدوات خاصة بعضها فطري كالذوق والطبع – والذي عدَّه معياراً لضبط الشعر– وبعضها مكتسب كالعروض، فالشاعر عند بنائه قصيدة ما ينبغي عليه أن يأتي بالمعاني التي يريدها عن طريق اختيار ألفاظ حسنة، وعليه أن يكون ضليعاً في علم اللغة، بارعاً في الإعراب، ومحيطاً بطريقة العرب في المخاطبات والأمثال، وأن يبتعد عن سفاسف الكلام، وسخيف اللفظ، والمعاني المستبردة، والتشبيهات الكاذبة والأوصاف البعيدة، والعبارات الغثَّة... إلخ، فهو يؤكد على أهمية الألفاظ بالنسبة إلى المعاني، فالمعنى عنده " لا يكون متفاوتاً مرقوعاً، بل يكون كالسبيكة المفرّغة والوشي المنمنم، والعقد المنظَّم، واللِّباس الرّائق فتسابق معانيه ألفاظه، فيلتذّ الفهم بحسن معانيه كالتذاذ السمع بموزّق لفظه". [٤]

والألفاظ كالكسوة التي تلبس المعاني، لذا يجب أن يراعى التناسب والملاءمة بين المعاني من جهة، وبين المعاني والألفاظ من جهة أخرى، والاتّساق بين الأساليب، فلا يصح أن يخلط البدوي بالحضري، ولا أن يقرن الألفاظ السّهلة بالوحشية، ويجب عليه أن يضع الكلام وفق ما يقتضيه الحال، ويطلبه المقام، "فإذا أراد الشاعر بناء قصيدة مخَّض المعنى الذي يريد بناء الشعر عليه في فكره نثراً، وأعدّ له ما يلبسه إيّاه من الألفاظ التي تطابقه، والقوافي التي توافقه، والوزن الذي يسلسُ له القول عليه [...] فإذا كملت له المعاني، وكثرت له الأبيات وفّق بينها بأبيات تكون نظاماً لها، وسلكاً جامعاً لما تشتت منها، ثمّ يتأمّل ما قد أدّاه طبعه، ونتجته فكرته، يستقصي انتقاده، ويرممُ ما قد وهن منه، ويبدّل بكلّ لفظة مستكرهة لفظة سهلة نقيّة"[٥]، فالعملية الإبداعية عنده تتمّ على مراحل: يدير الشاعر المعاني في فكره أولاً، ثمّ يختار لها ألفاظاً مناسبة، ويلائم فيما بينهما، ثمّ يختار الوزن المناسب، لتأتي آخر مرحلة، وهي مرحلة التثقيف والتشذيب.

وفي معرض حديث **الخطابي (٣١٩هـ – ٣٨٨هـ)** عن عجز العرب عن معارضة القرآن، يقول: "وها هنا وجه آخر يدخل في هذا الباب، وليس بمحض المعارضة، ولكنَّه نوعٌ من الموازنة بين المعارضة والمقابلة، وهو أن يجري أحد الشاعرين في أسلوب من أساليب الكلام، ووادٍ من أوديته، فيكون أحدهما أبلغُ في وصف ما كان من باله من الآخر في نعت ما هو بإزائه، وذلك مثل أن يُتأمَّلَ شعر أبي داؤد الإيادي، والنّابغة الجعدي في صفة الخيل، وشعر

[١] المصدر السابق نفسه، الصفحة نفسها.
[٢] ابن طباطبا: عيار الشعر، تحقيق عباس عبد الساتر، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ٢٠٠٥م، ص٩.
[٣] المصدر السابق نفسه، ص ١٠.
[٤] المصدر السابق نفسه، ص ١٠.
[٥] ابن طباطبا: عيار الشعر ، ص ١١.

الأعشى والأخطل في نعت الخمر، وشعر الشماخ في وصف الحُمُر، وشعر ذي الرّمة في صفة الأطلال والدّمن"[١]، ويزيد الأمر إيضاحاً بقوله: "فإنَّ كلّ واحدٍ منهم، وصَّافٌ لما يُضاف إليه من أنواع الأمور، فيقال: فلان أشعرُ في بابه ومذهبه من فلان في طريقته التي يذهبها في شعره، وذلك بأن تتأملّ نمط كلامه في نوع ما يُعنى به ويصفه، وتنظر فيما يقع تحته من النعوت والأوصاف، فإذا وجدت أحدهما أشدّ، تقصيًّاً لها، وأحسن تخلصاً إلى دقائق معانيها، وأكثر إصابة فيها، حكمت لقوله بالسّبق، وقضيت له بالتبريز على صاحبه، ولم تبالِ باختلاف مقاصدهم، وتباين الطرق بهم فيها"[٢].

وبالعودة إلى نصّ **ابن قتيبة**، نجد اختلافاً مع ما يقول، فهو هنا يدلُّ على أنّ تعدد الأساليب نابع من تعدد الموضوعات أو المعاني، بينما أراد بها الأول تعدد طرق التعبير، إلَّا أنّ اتفاقاً حاصلٌ بينهما من أنّ (الأساليب) مناهج مطروقة في اللغة الفنية، يشترك فيها الشعراء، فأما ما يتميّز به شاعر من شاعر، فقد عبّر عنه هذا النّصّ (بالطريقة) و (المذهب)، وعلى هذا جرى معظم النقاد العرب[٣].

وحين " يبحث الخطابي عن تحديد هذه البلاغة التي اختصَّ بها القرآن، وعن المعنى الذي يتميَّز به سائر أنواع الكلام الموصوف بالبلاغة، إنَّما هو ما يعبَّر عنه اليوم بالخصائص الأسلوبية المفارقة لنمطية البناء التقليدي"[٤].

فهو يشترط في رسوم النظم وفهمه (الثقافة) إذ لا تكفي البديهة وطلاقة اللسان[٥]، "فالحاجة إلى الثقافة والحذق فيها أكثر، لأنّها لجام الألفاظ، وزمام المعاني، وبه تنتظم أجزاء الكلام، ويلتئم بعضه ببعض، فتقوم له صورة في النفس يتشكل بها البيان"[٦]، فهو بحاجة إذن إلى القدرة على استخدام المفردات وترتيبها بحسب أغراضه الخاصّة، كما ينظم معانيه بطريقة معيّنة، تتضمنه الإمكانات النّحوية والجمالية التي تُعدُّ مصدر تميّز الأساليب[٧].

فالخطابي يعي أنَّ خاصية الاختيار "تقتضي الرجوع إلى اللغة بوصفها الأصل الذي يحتوي ممكنات عديدة، وبدائل يعتقد بعضهم أنّها تشترك وتتساوى في "إفادة بيان مراد الخطاب" وهو يشير بذلك إلى أحد مستويات الاختيار وهو (الاختيار المعجميّ)، فالأسلوب نتيجة من نتائج الاختيار الواعي لأحد الإمكانات اللغوية المناسبة لنفسية المبدع وأهدافه". [٨]

ثمَّ أتى **الباقلاني (٣٣٨هـ -٤٠٣هـ)** فقرن بين النظم والأسلوب، كما قرن الخطابي بين "الأسلوب" و "الطريقة" أو "المذهب"، فإذا كان الأسلوب أعمَّ من المذهب، فإنَّ النظم أعمّ من الأسلوب وكأنّ النظم هو جودة التأليف، والأسلوب هو نوع من أنواع التأليف، والطريقة أو المذهب هو المنحى الذي ينتحيه الشاعر في موضوعاته، أو طريقة تناوله لهذه الموضوعات[٩]، يقول: "فالذي يشتمل عليه بديع نظمه (القرآن) المتضمن للإعجاز وجوه: منها ما يرجع إلى الجملة، وذلك أنّ نظم القرآن على تصرف وجوهه، واختلاف مذاهبه خارج عن المعتاد من نظام جميع كلامهم، ومباين

---

[١] الخطابي: بيان إعجاز القرآن ضمن كتاب <<ثلاث رسائل في إعجاز القرآن>>، تحقيق محمد خلف الله أحمد وسعد زغلول سلام، ط٣، دار المعارف، القاهرة، مصر، ١٩٧٦م، ص٦٥.

[٢] المصدر السابق نفسه، ص ٦٥-٦٦.

[٣] شكري عياد: مفهوم الأسلوب بين التراث النقدي ومحاولات التجديد، مجلة فصول، مج ١، ع (١)، القاهرة، ١٩٨٠م، ص ٥٠.

[٤] صفاء محمد ضياء الدين فنخيزة: الأسلوب عند نقاد القرن الرابع الهجري، رسالة ماجستير، إشراف الدكتور مصطفى محمد أبو شعالة، جامعة مصراته، ليبيا، ٢٠٠٢- ٢٠٠٣م، ص ٢١.

[٥] المرجع السابق نفسه، ص ٢٢.

[٦] الخطابي: بيان إعجاز القرآن ضمن كتاب <<ثلاث رسائل في إعجاز القرآن>>، ص ٣٦.

[٧] صفاء فنخيزة: الأسلوب عند نقاد القرن الرابع الهجري، ص ٢٣.

[٨] المرجع السابق نفسه، الصفحة ٢٣

[٩] شكري عياد: اللغة والإبداع، ط١، دار إنترناشيونال برس، القاهرة، ١٩٨٨م، ص ١٧.

للمألوف من ترتيب خطابهم، وله أسلوب يختصّ به، ويتميّز في تصرّفه من أساليب الكلام المعتاد(...) وقد علمنا أنّ القرآن خارج عن هذه الوجوه، ومباين لهذه الطرق"[١].

وقد أطلق الباقلاني على اللغة أصل الوضع من لسان العرب، فميّز في بحثه عن إعجاز القرآن بين المستوى اللغوي الأصل الذي "لا يتأتّى فيه من وجوه الفصاحة ما يقع به التفاضل"[٢]، وما هو "من قبيل تصريف الكلام على وفق وفق البلاغة والبراعة والفصاحة، مما يُكوّن أقسام الكلام"[٣]، وهو الذي يتنوَّع ويتفاوت باختلاف أساليب المبدعين، فنجد فيه "التصرّف في الاستعارات والإشارات ووجوه الاستعمال البديعة"[٤]، وتكمن مواضع التفاوت في الخصائص الأسلوبية الناتجة عن توزيع عناصر الأسلوب ونظمها على نحو معين، فتتفاوت من حيث الوصل والفصل، والعلوّ والنزول، والتقريب والتبعيد، وغير ذلك مما ينقسم إليه الخطاب عند النظم، ويتصرف فيه القول عند الضم والجمع[٥]، "فاللغة هي الأصل (الثبات) والمعيار الذي يحدّد للكلام عمله ونشاطه، ولهذا فلا توصف بالبلاغة، أمّا الكلام فيعدّ اللغة التي بداخل اللغة، وميزته التصرف والتنوع بحسب الأدوات البلاغية، وبحسب الأغراض الفردية التي تنتج العديد من التراكيب، التي هي مجال بحث الناقد، حيث يعنى بأنواع الكلام مما يتفاضل فيه المتكلمون، وذلك للإمكانيات التعبيرية والجمالية التي يملكها، والتي تتجاوز الأغراض الحقيقية"[٦].

ومع أنّ الأسلوب يبدو فيما سبق مرادفاً للشكل أو طريقة التعبير، فإنّ الباقلاني، في موضع آخر يصف الأسلوب وصفاً يفيد ارتباطه بالمعنى أيضاً، فيقول بعد أن أورد نماذج شعرية ونثرية ناقداً إيّاها من جهتي الصياغة والمعاني[٧]، فيقول: "وقد بيّنا في الجملة مباينة أسلوب نظم القرآن جميع الأساليب، ومزيته عليها في النظم والترتيب، وتقدمّه عليها في كلّ حكمةٍ وبراعةٍ".[٨]

ثم جاء **عبد القاهر الجرجاني (٤٠٠هـ- ٤٧١هـ)** في وقتٍ كان هناك جذبٌ وردّ بين النّقاد حول التفاضل ما بين اللفظ والمعنى، ليقول بهما معاً، فنظر في "الكلمة المفردة قبل دخولها مرحلة التأليف، وقبل أن تصير إلى الصورة التي يكون بها الكلام إخباراً، وأمراً، ونهياً، واستخباراً، وتعجباً، فوجد أنَّها لا تؤدي معنى من المعاني"[٩] بمفردها، وأنّه "لا "لا سبيل إلى إفادتها إلَّا بضمّ كلمة إلى كلمة، وبناء لفظة على لفظة"[١٠]، فهو يرى أنّ المشكلة تكمن في أنّ دعاة المنهجين، اهتموا بتلك الثنائية، وأغفلوا عنصر التصوير، وأنّ الصورة الشعرية ليست إلَّا نتيجةً عن تفاعل أطراف هذه الثنائية معاً، فكما أنّ الفضّة لا تصير خاتماً بذاتها، وإنّما بما يكون فيها من تصوير، فكذلك الألفاظ لا تكون شعراً إلا بالنظم، لذلك "تكاد تكون الصورة بمعناها البلاغي مساويةً (للشعرية) عند عبد القادر الجرجاني، بل هي عنده علامة الشاعرية أيضاً"[١١]، فلا يحكم على اللفظة "قبل دخولها في سياق معين لأنّها حينئذٍ وحسب ترى في نطاق من التلاؤم أو عدم التلاؤم، وهذا السياق هو الذي يحدث تناسق الدلالة"[١٢].

---

[١] الباقلاني: إعجاز القرن بهامش (الإتقان في علوم القرآن)، تحقيق السوطي، مطبعة مجازي، ج١، القاهرة، د.ت، ص ٥٥-٦٥.
[٢] المصدر السابق نفسه، ص ٤٧.
[٣] المصدر السابق نفسه، ص ٤٧.
[٤] المصدر السابق نفسه، ٤٨.
[٥] المصدر السابق نفسه، ص ٦٠.
[٦] صفاء محمد ضياء الدين فنخيزة: الأسلوب عند نقاد القرن الرابع الهجري، ص ١٣.
[٧] شكري عياد: مفهوم الأسلوب بين التراث النقدي ومحاولات التجديد، ص ٥٠.
[٨] الباقلاني: إعجاز القرآن بهامش الاتقان في علوم القرآن، ج٢، ص ٩٨.
[٩] د. مصطفى ناصيف: نظرية المعنى في النقد العربي، دار الأندلس، بيروت، لبنان، د.ت، ص ٦٠.
[١٠] عبد القاهر الجرجاني: دلائل الاعجاز، تحقيق محمود شاكر، الخانجي، القاهرة، مصر، ١٩٨٤م، ص ٢٥٢.
[١١] د. محمد عبد المطلب: قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني، ط١، الشركة المصرية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ١٩٩٥م، ص ١٢٢.
[١٢] إحسان عباس: تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ط١، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ١٩٧١م، ص ٤٢٠.

وبهذا تعدّ نظريّة النّظم الّتي جاء بها الجرجاني " إنكاراً لتلك الثنائية المضللة، ودعوة إلى الوحدة"[١]، وبقيت هذه النظرية تتطوّر قبله حتى أضحت معه بشكلها البلاغي، وينتقل بمفهومه من المستوى الصوتي الموسيقي –الذي يحدّه بالوزن والقافية– إلى النظم الصياغي المعتمد على الناتج الدلالي[٢]، ولهذا نراه يسقط الوزن والقافية من الشعرية، ويترك للشاعر الحريّة في أن يضمّه حيث أراد، فهو يرى أنّها لا تتحقق إلّا بزرع الدّال في وسط تعبيري تترابط عناصره بخيط نحوي في مستوى التركيب لا الإفراد[٣].

والأساس–عنده– في المعاني النحوية " فلا ترى كلاماً قد وصف بصحّة نظم أو فساد، أو وصف بحريةٍ وفضل فيه، إلا وأنتَ تجد مرجع تلك الصحة، وذلك الفساد وتلك المزية، وذلك الفضل إلى معاني النحو وأحكامه"[٤]، فهو يربط "الإمكانات النحوية بحركة اللغة وتطورها من مرحلة المواضعة الاتفاقية إلى مرحلة الانتهاك الذي يصيب دلالة الكلمات، فالمبدع يتعامل مع لغة تمثّل مفرداتها نوعاً من الرمز الإشاري الذي يمكن تجاوزه في الاستعمال الاستعاري خصوصاً والمجازي عموماً مع ملاحظة طابع الانسجام الذي يجب أن يغلّف ذلك كلّه، فتجميع عناصر الكلمات المفردة لابدّ من أن يتّسم بالتأليف من حيث الصوت والتركيب والناتج الدلالي، وبهذا يتحقق النظم بمعناه الكامل"[٥]، مؤكداً على على وجود مجازية للّغة الشعرية باختلاف درجاتها، وأعلاها الاستعارة والتمثيل والتشبيه، فعمل المجاز كعمل السحر في التأليف بين المتباعدات[٦]، ولكنَّه مع ذلك لا يميل إلى التعقيد بل يذمّه، لأنّه أحوج ما يكون بالسامع إلى طلب الدلالة بالحيلة.

أمّا عن استعمال كلمة (أسلوب) فقد وردت –عنده – مرةً واحدة في قوله: "فالأسلوبُ ضربٌ من النظم والطريقةُ فيه، فيعمد شاعر إلى ذلك الأسلوب، فيجيء به في شعره، فيشبه بمن قطع من أديمه فعلاً على مثل نعل قد قطعها أصحابها، فيقال: قد احتوى على أمثاله"[٧]، فيرتبط ههنا "مفهوم الأسلوب بمفهومه للنظم من حيث هو نظمٌ للمعاني وترتيب لها، وذلك لاعتبارها تنوعاً فردياً ولغوياً وإرادياً ناتجاً عن رغبة واختيار ووعي، ومن حيث هو قدرة على التنوّع في صيغ نهج وتركيب قائم على إمكانات نحوية"[٨].

ويرى الدكتور محمد عبد المطلب أنّ عبد القاهر الجرجاني يكاد يتوافق مع الأسلوبين المحدثين في كثير من مباحثه، وخاصة الإمكانات الاستبدالية والقدرة التوزيعية، وفي مقولتهم عن انتهاك اللغة، وانحرافها عن النمط المألوف[٩]، المألوف[٩]، وهكذا يكون قد أسّس بنظريته هذه لنظريات عدّة أتت من بعده مميّزاً بين اللغة المعيارية واللغة الشعرية في مستويين من المعاني: معانٍ أوّل، وهي المستوى السطحي للكلام، ومعانٍ ثوانٍ يُومأ إليها بالمعاني الأوّل، وفيها يتم الانزياح عن المألوف إلى غير المألوف (الاستعارة، والكناية، والتمثيل)، ويختصر المستويين بثنائية (المعنى، ومعنى المعنى)[١٠]، والحقيقة أنّ منهجه القائم على أنّ اللغة مجموعة من العلاقات المتشابكة، قد أسهم في وضع أسس نظرية

---

[١] المرجع السابق نفسه، ص٤٢٧.
[٢] سعاد بولحواش: شعرية الانزياح بين عبد القاهر الجرجاني وجان كوهن، ص ١٩١.
[٣] د. محمد عبد المطلب: قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني، ص ٩٨.
[٤] عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص ٨٣.
[٥] د. مصطفى ناصيف: نظرية المعنى في النقد العربي، دار الأندلس، بيروت، لبنان، د.ت، ص ٦٥-٦٦.
[٦] عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة ، ص ١٣.
[٧] د. مصطفى ناصيف: نظرية المعنى في النقد العربي، ص ٦٥-٦٦.
[٨] نادية طهار: الخصائص الأسلوبية في شعر " محيّ الدّين بن عربي"، ص ٢٥.
[٩] د. محمد عبد المطلب: قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني، ط١، الشركة المصرية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ١٩٩٥م، ص ١٠٩
[١٠] د. لين جمعي: المعنى ومعنى المعنى في ضوء الانزياح الأسلوبي عند عبد القاهر الجرجاني من خلال كتابه "دلائل الإعجاز"، مجلة كلية الآداب واللغات، جامعة محمد خيضر- بسكرة، جانفي، ٢٠١٩م، ع (٢٤)، ص ١٧٧.

للغة الشعرية، أفاد منها نقادٌ كُثر أتوا من بعده، وقد ظهرت ثنائية تشومسكي في العصر الحديث (البنية العميقة، والبنية السطحية) التي شابهت ثنائية الجرجاني الأخيرة إلى حدٍّ كبير.

وهكذا يكون الجرجاني قد ربط الأسلوب بالنحو لأنّ الأسلوب في رأيه لا يكاد ينفك من النظم، ولا ينفصل عنه، ومن ثمّ فإنّ الأسلوب عنده ضربٌ من النظم، وطريقةٌ فيه، وإذا كان الأسلوب كذلك، فإنّه يكون قد أضاف إلى النظرية العربية أصلاً لا ينفصل عنها، وبعداً تأصيلياً واعداً، فالأسلوب هو النظم، والنظم لا يتحقق إلّا إذا انضبط بالنحو.

وقد ظهرت مدرسة بلاغيّة جديدة في بلاد المغرب العربي –في القرن السابع والثامن للهجرة– تأثرت ثقافتها بأفكار الفلسفة اليونانيّة الأرسطية، ومن أهمّ روّادها**(حازم القرطاجني ت ٦٣٢هـ)**، فقد استطاعَ أن يجعل لنفسه منهجاً خاصاً بعيداً عمّا جاء به الدّرس البلاغي العربي القديم بفعل تأثّره بالفلسفة اليونانية، وذلك من خلال تناوله العملية الإبداعيّة من مختلف جوانبها، يؤكد ذلك بقوله: "سلكتُ من التكلّم مسلكاً لم يسْلكهُ أحدٌ قبلي من أرباب هذه الصناعة لصعوبة مرامه، وتوعّر سبيل التوصّل إليه"[١]، لكنَّه لم يكن تأثّراً أحاديَّ القطب، فقد أفادَ من معطيات الدّرس البلاغي التي قدّمها الجرجاني في نظرية النظم من قبله، "فقد وافق عبد القاهر الجرجاني في وجود النظرية (نظرية النظم)، التي سمّاها حازم بـ (الأسلوب)، وخالفهُ في أنَّ النظم يكون شاملاً للعملية الإبداعية، زاعماً أنّ عبد القاهر جعل دراسة النظم في حدود الجملة الواحدة"[٢].

إذ وضع القرطاجني مفهوماً للأسلوب مستنداً إلى نظريتي أرسطو وعبد القاهر، فقد جعل "العمل الفني بأجناسه المختلفة وحدة متكاملة، أدباً كان العمل أو القصيدة، وقد جعل الانتقال من موضوع إلى موضوع، ومن غرض إلى غرض إلى غرض هو أساس العملية الأسلوبية، مصطحباً في ذلك عملية النظم التي أرساها عبد القاهر الجرجاني في ربط وصياغة وتجاور الكلمات نحويّاً"[٣] فيقول "لما كانت الأغراض الشعرية يوقع في واحد منها الجملة الكبيرة من المعاني و المقاصد، وكانت لتلك المعاني جهات، فيها توجد، ومسائل منها تعتنى كجهة وصف المحبوب، وجهة وصف الخيال، وجهة وصف الطّلول، وجهة وصف يوم النّوى، وما جرى مجرى ذلك في غرض النّسيب، وكانت تحصل للنّفس بالاستمرار على تلك الجهات، والنّقلة من بعضها إلى بعض، وبكيفيّة الاطّراد في المعاني صورةٌ وهيئة تُسمّى الأسلوب، وجبَ أن تكون نسبة الأسلوب إلى المعاني، ونسبة النّظم إلى الألفاظ لأنّ الأسلوب يحصل عن كيفيّة الاستمرار في أوصاف جهة من جهات غرض القول، وكيفيّة الاطّراد من أوصاف جهة إلى جهة، فكان بمنزلة النظم في الألفاظ الذي هو كيفية الاستمرار في الألفاظ والعبارات والهيئة الحاصلة عن كيفية النقلة عن بعضها إلى بعض، وما يعتمد فيها من ضروب الوضع، وأنحاء الترتيب، فالأسلوب هيئة تحصل عن التأليفات المعنويّة، والنظم هيئة تحصل عن التأليفات اللفظيّة"[٤].

ويتبدّى من خلال الكلام السابق تأثّر حازم بالجرجاني، إذ جعل الأسلوب في المعاني، بإزاء النّظم في الألفاظ، وجب أن يُراعى فيه حُسْن الاطّراد والتناسب والتلطّف في الانتقال من جهة إلى جهة، والصيرورة من مقصد إلى مقصد، ما يُراعى في النظم من حُسْن الاطّراد في العبارات ولطف النقلة والتأليف، إذ تستدعي كُلّ كلمة جارتها.

---

[١] أبو الحسن حازم القرطاجني: منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق محمد الحبيب -ابن الخوجة، ط٣، الدار العربية للكتب، تونس، ٢٠٠٨م، ص ١٧.

[٢] طه عبد الرحمن المكي: الأسلوب والأسلوبية دراسة تطبيقية على شعر أبي الطيب المتنبي، رسالة ماجستير، إشراف الدكتورة سلوى عثمان أحمد محمد، جامعة النيلين، ٢٠١٦-٢٠١٧م، ص ٢٣-٢٤.

[٣] المرجع السابق نفسه، ص٢٤.

[٤] أبو الحسن القرطاجني: منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ص ٣٢٧.

أمّا عن تأثره بأرسطو فقد ظهر ذلك جلياً بمسمّى التراجيديا والكوميديا في كتاب (فن الشعر)، عندما قسّم الشعر إلى طريق هزلٍ وطريق جدٍّ موضحاً أنّ لكلٍّ منهما موضعه المحدّد، وألفاظه ومعانيه المناسبة، ولا يجب الخلط بينهما، وذلك كلّه وفق ما يقتضيه الحال، ويطلبه المقام، فلكلّ مقامٍ مقال[١].

وقد استخدم لفظة (المنزع) بمعنى كلمة (الأسلوب)، حين عقد باباً في الإبانة عن المنازع الشعرية وأبحاثها، وطرق المفاضلة بين الشعراء، فهو يرى أنّ منازع الشعراء في الشعر تختلف، ويعرّفها بقوله:

"المنازع هي الهيئات الحاصلة عن كيفيّات مآخذ الشعراء في أغراضهم، وأنحاء اعتماداتهم فيها، وما يميلون بالكلام نحوه أبداً، ويذهبون به إليه، حتى يحصل بذلك للكلام صورة تقبلها النفس أو تمتنع من قبولها، والذي تقبله النفس من ذلك ما كانت المآخذ فيه لطيفة، والمقصد فيه مستطرفاً، وكان للكلام به من حسن موقع من النفس، والمعين على ذلك أن ينزع بالكلام إلى الجهة الملائمة لهوى النفس من حيث تسرّها أو تعجبها، أو تشجوها، حيث يكون الغرض مبنياً على ذلك، على نحو منزع عبدالله بن المعتز في خمرياته، والبحتري في طيفيّاته، فإنّ منزعهما فيما ذهبا إليه من الأغراض منزعٌ عجيب"[٢].

وهو يرى أنّ من الشعراء غيره من حذا حذوه كبير ميزة، وأنّ منهم من اختصّ بمنزعٍ يتميّز به شعره من شعر سواه، نحو منزع مهيار ومنزع ابن خفاجة[٣].

ولكنَّه يقصد بالمنزع أيضاً "كيفيّة مآخذ الشاعر في بنية نظمهِ، وصيغة عباراته، وما يتّخذه أبداً كالقانون في ذلك كأخذ أبي الطيب في توطئة صدور الفصول للحكم التي يُوقفها في نهايتها، فإن ذلك منزع اختصَّ به، أو اختصَّ بالإكثار منه، والاعتناء به"[٤]، وقد يعنى بالمنزع غير ذلك "إلا أنه راجع إلى معنى ما تقدم، فإنه أبدا لطف مأخذ في عبارات أو معان أو نظم أو أسلوب"[٥].

وبالتالي يكون قد أدخل مصطلحاً بلاغياً جديداً لدائرة البحث الأسلوبي، إلّا أنّه أعمّ وأشمل من الأسلوب– وفق رؤيته– فالأسلوب عنده مقترن بالمعاني، أمّا المنزع فهو يشمل العبارات والمعاني والنظم والأسلوب.

وهنا يمكن القول أنّ النّقاد والبلاغيين العرب قد عرفوا الأسلوب، ولكنَّهم لم يهتموا بتعريفه، والإشارة الطيبة إلى هذا المصطلح، وتعريفه كانت في كتاب (المقدمة) لابن خلدون (٧٣٢هـ–٨٠٨هـ)، فقد عرَّف الأسلوب اصطلاحاً في كونه القالب والمنوال الذي صحَّ لغةً ووزناً ومعنىً وجرى على طريقة القدماء، وهو بهذا يستوعب مصطلحين في تراثنا العربي، هما:[٦]

- **مصطلح النظم عند البلاغيين:** الذي برز عند المعتزلة في محاولتهم إثبات إعجاز القرآن الكريم، التي وردت في كتاب (القاضي عبد الجبار المعتزلي) (المغني في أبواب التوحيد والعدل)، وفي كتب عبد القاهر الجرجاني (دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة) إلّا أنّ مفهوم النظم هنا يختلف أحيانا– عن مفهوم الأسلوب عند الغربيين، فهنا يركز على الأسلوب في النص أو الأسلوب في صلته بالمتلقي، ولا يشير إلى الأسلوب في علاقته بالمبدع، ومردّ ذلك إلى أنّ نشأة النّظم ارتبطت بالإعجاز القرآني، الذي يركّز على الخصائص الأسلوبية في النص القرآني بوصفها معجزة للاستخدام الإبداعي عند العرب في الشعر العربي، وهو لا يتطرّق إلى البحث عن الذات المبدعة، فقد دارت نظرية

[١] المصدر السابق نفسه، ص ٢٩٧-٢٩٨.
[٢] أبو الحسن القرطاجني: منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ص ٣٢٩.
[٣] المصدر السابق نفسه، ص ٣٢٩-٣٣٠.
[٤] المصدر السابق نفسه، ص٣٣٠.
[٥] المرجع السابق نفسه، ص٣٣٠.
[٦] د. صالح مطر: في التطبيقات الأسلوبية، مكتبة الآداب، القاهرة، ٢٠٠٤م، ص٢٠.

النظم حول البحث في النص القرآني بوصفه إبداعاً وجمالاً ومنظوماً على غير مثال سابق في الإبداع والجمال، والبحث في تأثيره على القارئ أو المستمع.

▪ **مصطلح عمود الشعر:** ويعني السير على طريقة القدماء واتباع أصولهم الجمالية في الشّعر الجاهلي والإسلامي في المعاني والأغراض والتراكيب والمفردات والموسيقا الشعرية، وهو الذي برز في تعريف المرزوقي لعمود الشعر في شرحه لحماسة أبي تمام، وطبّقه ابن طباطبا في (عيار الشعر)، والآمدي في موازنته بين أبي تمام والبحتري، والجرجاني في وساطته بين المتنبي وخصومه.

ويبدو أنّ ابن خلدون "قد اطّلع على آراء مواطنه حازم القرطاجني أو تعرّف إليها بطريقةٍ ما، فإننا نجد كلامه عن الأسلوب امتداداً لكلام حازم، وتنميةً له من وجهين: الأول باعتبار الأسلوب متعلّقاً بالمعاني، والثاني هو النظر إليه على أنّه عبارة عن مناهج مطروقة في اللغة الفنية بل إنّ ابن خلدون يمثّل ببعض الأمثلة التي أوردها حازم"[1]، يقول: "لكلّ فنٍّ من الكلام أساليب تختصّ به، وتوجد فيه على أنحاء مختلفة، فسؤال الطلول في الشعر يكون بخطاب الطلول (...) ويكون باستدعاء الصحب للوقوف والسؤال (...)، أو باستبكاء الصحب على الطلل (...) أو بالاستفهام عن الجواب لمخاطب غير معين (...)، وأمثال ذلك كثير في سائر فنون الكلام ومذاهبه، وتنتظم التراكيب فيه بالجمل وغير الجمل إنشائية وخبرية، اسمية أو فعلية، متّبعة وغير متّبعة، مفصولة وموصولة على ما هو شأن التراكيب في الكلام العربي"[2].

إلّا أنّ ابن خلدون لم ينصّ صراحةً على اختصاص الأسلوب بالمعاني، ولم يعرّج على مقابلته بالنظم كما فعل القرطاجني، ولكنَّه يعرّفه تعريفاً يعتمد على التمثيل في شطر منه، وعلى السلب في الشطر الآخر[3]، إذ يقول: "ولنذكر هنا مدلول لفظة الأسلوب عند أهل هذه الصناعة، وما يريدون بها في إطلاقهم، فاعلم أنّها عبارة عندهم عن المنوال الذي تنسج منه التراكيب، أو القالب الذي تُرَصُّ فيه، ولا يرجع إلى الكلام باعتبار إفادته كمال المعنى الذي هو وظيفة الإعراب، ولا باعتبار إفادته أصل المعنى من خواص التركيب الذي هو وظيفة البلاغة والبيان، ولا باعتبار الوزن كما استعمله العرب فيه الذي هو وظيفة العروض، فهذه العلوم الثلاثة خارجة عن هذا الصناعة الشعرية، وإنّما ترجع إلى صورة ذهنية للتراكيب المنتظمة كلّية باعتبار انطباقها على كلِّ تركيب خاص، وتلك الصورة التي ينتزعها الذهن من أعيان التراكيب وأشخاصها، ويصيرها في الخيال كالقالب أو المنوال، ثمَّ ينتقي التراكيب الصحيحة عند العرب باعتبار الإعراب والبيان، فيرصَّها رصَّاً كما يفعله البناء في القالب أو النسَّاج في المنوال"[4].

ويعلّق الدكتور شكري عيّاد على تعريفه السّابق بقوله: وهكذا يبدو أنّ ابن خلدون قد حرص على إبراز الصلة بين الفن (أو النوع) الأدبي والأسلوب أو الأساليب، من جهة، (وذلك في قوله: لكلِّ فنٍّ من علم الكلام أساليب تختصُّ به)، وبين الأسلوب والتراكيب اللّغوية من جهة أخرى (وقد فصّل ذلك في تعريفه للأسلوب وهذا التحديد لمعنى الأسلوب ومكانه من الصنعة الأدبية هو أدقُّ ما نجده لدى النّقاد العرب في هذا الباب ولكن يلاحظ عليه أمران:[5]

الأوّل: أنّ الصورة الذهنية الكليّة التي تحدّث عنّها– فضلاً عن غموضها– تؤكد وبمزيد من التحديد والجبرية – فكرة عمود الشّعر التي طالما رددها القدماء، والتي تقلّل –إلى درجةٍ تقترب من الإهمال – دور التجربة الشخصية للمبدع في تكوين الأسلوب.

---

[1] ناديا طهار: الخصائص الأسلوبية في شعر محي الدين بن عربي، ص٥٢.
[2] ابن خلدون: المقدمة، تحقيق المستشرق الفرنسي أ.م كاترميد، مج ٣، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، ١٩٩٢م، ص٣٣١-٣٣٢.
[3] شكري عياد: مفهوم الأسلوب بين التراث النقدي ومحاولات التجديد، ص٥٢.
[4] ابن خلدون: المقدمة، ص٣٢٩-٣٣٠.
[5] شكري عيّاد: مفهوم الأسلوب بين التراث النقدي ومحاولات التجديد، ص٥٢.

الثّاني: أنّه، وإن ألمح إلى شيء من العلاقة بين فنون الشعر – أو موضوعاته– وأساليبه بما أورده من الأمثلة على ذلك، فقد ترك الجهة الأخرى من العلاقة، وهي العلاقة بين الأسلوب والتراكيب اللّغوية التي تدرس في علم النحو والمعاني والبيان والعروض مغموزة في إبهامٍ شديد، وبذلك لا يكون قد تقدّم على تعريف القرطاجني، بل إنّه أهمل جزءاً مهماً من مفهوم الأسلوب تنَّبه إليه كلّ من القرطاجني والباقلاني، وهو أنّ الأسلوب يتمثّل في النصّ الأدبي كلّه، وتبعاً لذلك يمكن القول أنّه يتمثّل في كل ما نظم الشاعر أو كتب الكاتب، كما يتمثل في كلّ ما يدخل تحت راية فنٍّ من الفنون.

والذي يعنينا "أنّ الأسلوب منذ القدم كان يلحظ في معناه ناحية شكلية خاصّة هي طريقة الأداء، أو طريقة التعبير التي يسلكها الأديب لتصوير ما في نفسه أو لنقله إلى سواه بهذه العبارات اللغوية"[١]، ولا يزال هذا هو تعريف الأسلوب حتى في هذا الوقت الرّاهن، فهو طريقة الكتابة أو طريقة الإنشاء، أو طريقة اختيار الألفاظ وتأليفها، بهدف الإيضاح والتأثير، أو هو ضربٌ من النّظم وطريقةٌ فيه.

ب النّقاد المحدثون:

عَني النقاد العرب المحدثون بـ (الأسلوب) عنايةً خاصّةً، أسهمت في إغناء المكتبة العربية بعددٍ هائلٍ من البحوث والدراسات الأسلوبية، التي حاولوا خلالها تقصّي ملامح الأسلوب، والبحث في مجالاته، مستفيدين من التراث النَّقدي والبلاغي حيناً، ومن الدراسات الغربيّة المعاصرة حيناً آخر، وبقوا يتجاذبون الدّفة بين مدافعٍ عن القديم، ومحاربٍ له، وبين فئةٍ أخرى كشفت عن وعي وفكر أصيل هضم التراث، فأغنى بصيرته، واستعان بالجديد، فزادَ واستفادَ وأفادَ، ونذكر منهم:

١-أحمد الشايب (١٨٩٦م- ١٩٧١م):

وتُعدُّ محاولة الشايب في مؤلفه (الأسلوب) من أكبر المحاولات النَّقدية التي تبدَّى فيها المزج ما بين القديم والحديث، إذ قام بـ "إثارة قضيّة جدليّة مع أولئك الذين تصوّر أنّهم يقصدون بالأسلوب العنصر اللفظي الذي يتألف من الكلمات، فالجمل والعبارات، وأوضح أنّ هذا العنصر اللفظي يرجع إلى نظام آخر معنوي انتظم وتألّف في نفس الكاتب أو المتكلّم، فكان بذلك أسلوباً معنوياً، ثمَّ تكوّن التأليف اللفظي على مثاله، وصار ثوبه الذي لبسه، أو جسمه إذا كان المعنى هو الروح"[٢].

ولكنَّه عندما أراد "أن يقدم تحديداً واضحاً لمفهوم الأسلوب لم يستطع أن يتخلّص من توزيع فكره بين معارفه في البلاغة القديمة، ومعارفه في النَّقد الحديث، ممّا جعله يقدم عدّة تعريفات لا تعريفاً واحداً محاولاً أن يستكمل بكلّ تعريف ما فاته في التعريف السّابق"[٣]، فيعرّفه بدايةً بأنَّه: "فنٌّ من الكلام يكون قصصاً أو حواراً أو تشبيهاً أو مجازاً أو كنايةً، تقريراً أو حكماً وأمثالاً"[٤]، وكأنَّ "الأسلوب هنا يرتبط بالنوع الذي يبدعه الأديب، ومن العجيب أن تكون القصة بمعناها الفنّي مساويةً في الأداء للمجاز أو الكناية، مع أنّ الذي نعرفه أنّ هذا المجاز وتلك الكناية ليست سوى وسائل تعبيرية تدخل في أسلوب القصة أو غيرها من الفنون الأدبية"[٥]، وكأنّه لم يطمَئنّ للتعريف السّابق، فوجده غير كافٍ، واستدرك

[١] أحمد الشايب: الأسلوب دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية، ط٢، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مصر، ١٩٤٥، ص٣١.
[٢] المرجع السابق نفسه، ص٣١.
[٣] د. محمد عبد المطلب: البلاغة والأسلوبية، ص١٠٨.
[٤] أحمد الشايب: الأسلوب دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية، ص٤١.
[٥] د. محمد عبد المطلب: البلاغة والأسلوبية، ص١٠٨.

قائلاً: إنّه "طريقة الكتابة أو طريقة الإنشاء أو طريقة اختيار الألفاظ وتأليفها للتعبير عن المعاني قصد الإيضاح والتأثير"[١].

وهو هنا يحاول أن يركز مفهوم الأسلوب في التركيب اللّغوي ذاته، مع ربطه بمقدرة صاحبه على تخيّر الألفاظ والتأليف بينها، ومع الهدف الذي يقصده المتكلم من الأمور العقلية أو التأثيرية، مقترباً من مفهوم الجرجاني للأسلوب[٢]، ولذا نجده يختم كلامه في هذا التعريف بما ذكره الجرجاني من أنّه "ضربٌ من النّظم أو الطريقة فيه"[٣]، فالأسلوب –على رأيه – في الأدب يختلف عن أساليب الفنون الأخرى، لذا يؤكد على أنّ الأسلوب هو طريقة التعبير، لأنّ الفنون الأخرى لها طرقٌ في التعبير مختلفة يعرفها الفنيّون، ويتّخذون وسائلها من الألحان والحجارة، وكذلك العلماء لهم رموزهم ومصطلحاتهم ومناهجهم في البحث والأداء[٤]، فيكون الأسلوب – بهذا المعنى– طريقة في التعبير أو التصوير.

ويبدو أنّه يجد ذلك كلّه غير كافٍ فيقدّم لنا تعريفه الأخير في محاولته لكشف الغموض ورفع الحيرة التي سيطرت على بعض الدراسين، فيقول: "وأعود مرةً ثانيةً إلى تعريف الأسلوب فقد غُمَّ الأمر على بعض الدراسين بصدد ذلك، أعودُ لأقول: إنَّ تعريف الأسلوب ينصبُّ بداهةً على هذا العنصر اللفظي، فهو الصورة اللفظية التي يُعبر بها عن المعاني أو نظم الكلام وتأليفه لأداء الأفكار، وعرض الخيال، أو العبارات اللفظية المنسّقة لأداء المعاني"[٥].

فالشايب لم يطمئنّ – بتعريفاته السابقة– إلى الوصف الذي يركز على ذاتية المنشئ، وآثر عليه وصفاً يرتكز على العبارة اللّغوية نفسها، وهو بذلك يعبّر من ناحية اهتزاز النّظرة الرومانسية إلى الأدب، والحاجة إلى نظرة أخرى، تعترف للنصِّ الأدبي بحياة مستقلة عن حياة مؤلّفه وتدرسه على أنّه ظاهرة لغوية لها وجودها الخاص[٦].

٢–أمين الخولي (١٨٩٥م– ١٩٦٦م):

كان له نزعة تجديدية مشابهة لنزعة أحمد الشايب في مؤلفه (فنّ القول)، ومحاولةٌ مهمةٌ تسعى لربط الدرس البلاغي القديم بمباحث علم الأسلوب الحديثة.

فهو يدعو في دراسة الأساليب إلى عدم التّوقف عند القليل الذي ألمّ به القدماء من جهة، وعدم الاكتفاء بتكملته بالدراسة الحديثة من جهة أخرى، وإنَّما يجب أن يكون هذا الدّرس وسيلة للإشراف على آفاق أدبية ونقدية ومذاهب في ذلك، ومدارس في الفنِّ القولي تُعرف بها، وتبيّن خصائصها وأهدافها[٧].

وهو هنا يقصد إلى "الربط بين الأسلوب وطبيعة الغرض الأدبي الذي يعرض له من الفكاهة والتهكم وما إليها، من حيث هي عوالم فنيّة، ونزعاتٌ أدبية، كما يريد إلى الربط بين الأسلوب والاعتبارات النفسية والأدبية من حيث هي طراز في الإخراج والعرض كالرّمز الفنّي والرّمز الأدبي، لا في حدودها الساذجة التي أشار إليها القدماء في مثل هذه الكناية، بل من حيث هي ضربٌ من الفنّ يتّصل بموجات نفسية، ويرمي إلى أهداف أدبيّة واجتماعية، وما إليها"[٨].

ونجده أيضا يربط الأسلوب وطبيعة المؤلف، ويبدو أنّه يؤثر هذا على ذاك، فقد أخذ على القدماء إغفالهم لهذا الأمر على الرغم من أهميته في العملية الإبداعية، ولذا يدعو إلى ضرورة تحلية الدراسة البلاغية بمقدّمة نفسية، فالأدب لا يقوم على المنطق العقلي الاستنباطي الفلسفي– كما يرى– بل هو ألوانٌ أخرى من المنطق العاطفي النفسي، المتصل

---

[١] أحمد الشايب: الأسلوب دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية، ص٤٤.
[٢] د. محمد عبد المطلب: البلاغة والأسلوبية، ص١١٠.
[٣] عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص٤١٨.
[٤] أحمد الشايب: الأسلوب دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية، ص٤٤.
[٥] المرجع السابق نفسه، ص٤٩.
[٦] د. محمد عبد المطلب: البلاغة والأسلوبية، ص١١٠.
[٧] أمين الخولي: فن القول، مكتبة دار الكتب المصرية، القاهرة، مصر، ١٩٩٦، ص١٨٨.
[٨] د. محمد عبد المطلب: البلاغة والأسلوبية، ص١٢٦. وانظر: أمين الخولي: فن القول، ص ١٨٨.

بحياة الإنسان الوجدانية، ونشاطه الذوقي[١]، لكنَّه لم يغفل جانب المتلقي، فعندما يقارن بين حالة البلاغة القديمة –عندنا –يحدّد غايتين لهذه البلاغة الحديثة: غايةً عملية، وهي تحقيق مصالح حيوية للأفراد والجماعات، وأخرى فنية، هي الإقناع بالتعبير عن الإحساس بالجمال، أو التذوق لروائع الأداء الفني[٢]، وبذا فإنَّ "أطراف العملية الإبداعية من متكلِّم ومتكلَّم وكلام تكاد تتوفر عند الخولي في دراستهِ لفن القول، وهي محاولة كما يقول – هو– تمثّل تخطيطاً ما زال رهن التغيير والتعديل، وهدف التجديد والتحسين، تحتمل الإضافة والحذف"[٣].

وهي "محاولة تُمثّل – مع أسلوب الشايب – موقفاً وسطاً، فهي لم تغفل القديم تماماً، ولم تكتف بالجديد وحده، وإنَّما كان التلاقي بين الطرفين هو أساس الدراسة عند الرجلين فكلاهما تحمّس للقديم وأحبّه، وأدانه، وكلاهما أقبل على الجديد، وأخذ منه بقدرٍ وحذر".[٤]

٣–سعد مصلوح (ولد ١٩٤٣م):

احتفى بدراسة الأسلوب متأثراً بدراسات الغربيين ومباحثهم، فقد عرض في كتابه (الأسلوب)، تعاريف لنقاد عرب وغربيين قدماء ومحدثين، مكملاً إيّاه بالشرح والتفسير، لكنّنا نلمح في مؤلفه ميلاً إلى المنهج الإحصائي، وتطبيقاً له في دراسته للنصوص محاولاً من خلاله التماس المعايير الموضوعية، ويقدّم لنا تعريفات للأسلوب:

التعريف الأوّل: بوصف اللغة المعنية هي عبارة عن قائمة من الإمكانات المتاحة للتعبير، ولذلك يعرف الأسلوب بأنّه " اختيار Choice أو انتقاء Selection يقوم به المنشئ لسمات لغوية معينة بغرض التعبير عن موقف معين[٥]. أي إنّ الاختيارات الخاصة التي يؤثرها المنشئ على غيرها هي التي تشكل أسلوبه الذي يميزه من غيره من المنشئين.

والتعريف الآخر: الذي يحدُّ به الأسلوب، بأنّه مفارقة Departure أو انحراف Deviation عن أنموذج آخر من القول ينظر إليه على أنّه معيار Norm، وبالمقارنة بينهما يقع التمييز بين "النصّ المفارق" و "النصّ النمط" ويشترط لجواز المقارنة تماثل المقام بينهما[٦]. فالأسلوب هنا يقصد به أن تكون لغته مفارقة للغة العادية النمطية، وبمقدار ما تكون هذه اللغة محققة لشروط الانحراف والانزياح، بمقدار ما يكون الأسلوب أكثر تميزاً وتفرّداً.

وهو يرى أنّ هذين التعريفين إشكاليّان، ذلك أنّ الأوّل يتطلب منّا معرفة بقائمة الأبدال المتاحة التي يعمل عليها المنشئ ذهنه في الاختيار والاستبعاد فيها، كما يتطلب معرفة إذا ما كان الاختيار عن وعي وقصد أم أنّه بطريقة جبريّة لا سيطرة حقيقيّة للمنشئ عليها، والثاني يتطلب منّا معرفة بخصائص التعبير الأصيل (النمطي)، ليكون في الإمكان قياس التعبير المعدول عليه. [٧]ولكنَّه مع ذلك يرجّح التعريف الأول لأسباب منها[٨]:

- الاختيار أمرٌ تصدقه تجربة الأدباء فيما يكتبون.

[١] المرجع السابق نفسه، ص١٢٧، وانظر أيضاً: أمين الخولي، فن القول، ص٢٠٧.
[٢] أمين الخولي: فن القول، ص٢٠٩.
[٣] د. محمد عبد المطلب: البلاغة والأسلوبية، ص ١٢٨. وانظر أيضا: أمين الخولي: فن القول، ص٢٢٣.
[٤] المرجع السابق نفسه، ص١٢٨.
[٥] د. سعد مصلوح: الأسلوب دراسة لغوية – إحصائية، ط٣، عالم الكتب، القاهرة، د.ت، ص ٣٨.
[٦] د. سعد مصلوح: في النص الأدبي دراسة أسلوبية إحصائية، ط ١، عين الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، مصر، ١٩٩٣م، ص ٢٣.
[٧] المرجع السابق نفسه، ص ٢٣.
[٨] المرجع السابق نفسه، ص ٢٤

- لأنّ القول بأنّ الأسلوب هو تعبير معدول عن أصل معتاد يمكن أن يؤدّي إلى القول الخاطئ بأنّ كلّ تعبير جاء على الأصل من دون عدول هو خلوٌّ من الجمال، وليس ذلك صحيحاً على الإطلاق.
- لأنّ الانحراف عن النمط ومفارقته يمكن أن يعدّ شكلاً من أشكال الاختيار ومحصلة لهُ.
- لأنّ مفهوم الاختيار يفتح المجال لتجميع مفردات الظاهرة الأسلوبية، وضمّ شتاتها على مستويات التواصل كافّة وبدرجة متفاوتة، ثمَّ هو ليس اختياراً لغوياً فحسب، بل هو محكوم من جهة بإمكانات المقال، ومن جهة أخرى بمقتضيات المقام Context of situation، وتشمل مقتضيات المقام عوامل كثيرة، منها مصدر الخطاب، والمقصود بالخطاب، وموضوعه، والوسيلة المعتمدة في الإبلاغ، وجنس الخطاب، والعلاقة بين مصدر الخطاب والمقصود به، والحضور الذهني أو العيني للمخاطب...، وبذلك يكون قد ركّز على عناصر العملية الإبداعية الإيصالية جميعها.

ونراه يولي البعد الإحصائي في دراسة الأسلوب عناية خاصة بوصفه من أهم المعايير الموضوعية والأساسية التي يمكن عن طريق استخدامها تشخيص الأساليب، وتمييز الفروق بينها من خلال قابلية استخدامه في قياس الخصائص الأسلوبية كائناً ما كان التعريف الذي يتبنّاه الباحث للأسلوب، أو الطراز النحويّ الذي يستخدمه، فالإحصاء هنا هو ما يميّز السمات اللغوية(الخصائص اللغوية) التي يمكن أن نعدّها خواص أسلوبية، وبين السمات التي ترد في النص ورود عشوائياً[1]، إذ ليس لكل انحراف بالضرورة أن يعدّ خاصة أسلوبية مهمة، وإنما يعدّ خاصة أسلوبية من خلال علاقته بالسياق.

٤- منذر عياشي (ولد ١٩٤٥م):

يعرَّف **عياشي** الأسلوب بقوله: "الأسلوب حدثٌ لسانيٌ يمكن ملاحظته: إنَّه لساني لأنّ اللّغة أداة بيانه، وهو نفسيّ لأنّ الأثر غاية حدوثه، وهو اجتماعي لأنّ الآخر ضرورة وجوده"[2]، وهو عنده " يستلزم نوعين من النشاط: الأول؛ ويتعلق بالمرسل، والثاني؛ ويتعلق بالمرسل إليه، أمّا النشاط نفسه، فقد يكون علمياً بمعنى أنّه يقف عند حدود البحث في ظاهرة من الظواهر بشكل موضوعيّ (...) وقد يكون غير ذلك، فيدخل القصد إليه حينئذٍ عن رغبةٍ في إدهاش المرسل إليه والتأثير فيه، وذلك كما في المؤلفات الأدبية"[3]، وهو هنا يشمل عناصر الخطاب جميعها في هذه الظاهرة أو هذا الحدث اللساني، من مرسلٍ ومتلقٍ ورسالة.

٥- عبد السلام المسدي (ولد ١٩٤٥م):

وليس ببعيد عنه التعريف الذي قدمه **المسدي**، فيقول "إذا فحص الباحث ما تراكم من تراث التفكير الأسلوبي، وشقّه بمقطع عمودي يخرق طبقاته الزمنية، اكتشف أنّه يقوم على ركحٍ ثلاثي دعائمه هي المخاطِب، المخاطَب، والخطاب، وليس من نظرية في تحديد الأسلوب إلّا اعتمدت أصولياً إحدى هذه الركائز الثلاث أو ثلاثتها متعاضدة متفاعلة"[4].

ولكنّه يرى أن دعامة المخاطب تتقدم الدعامتين الأخريين في النشأة الوجودية وفي تاريخية الأسلوب، "أمّا في النشأة المطلقة فلأنّ الرسالة اللّغوية من حيث حدوثها تنبثق من منشئها تصوراً وخلقاً وإبرازاً للوجود، وأمّا من حيث زمنيّة

[1] د. سعد مصلوح: الأسلوب دراسة لغوية – إحصائية، ص٨٦.
[2] منذر عياشي: الأسلوبية وتحليل الخطاب، ط١، مركز الإنماء الحضاري، حلب، ٢٠٠٢م، ص٣٥.
[3] المرجع السابق نفسه، ص٣٥-٣٦.
[4] د. عبد السلام المسدي: الأسلوبية والأسلوب، ط٣، الدّار العربيّة للكتاب، تونس، ١٩٨٢، ص٦١.

التاريخ فلأنّ تحديد الأسلوب باعتماد عنصر المخاطِب مغرقٌ في القدم يتخطّى حواجز الأسلوبية المعاصرة إلى بلاغة اليونان ومن بعدهم"[١].

٦- صلاح فضل (١٩٣٨-٢٠٢٢م):

يرى أنّ الدارسين معظمهم قد سلّموا بوجود الأسلوب على الرغم من عدم اتفاقهم على تحديده، وتحديد الإطار النّظريّ الذي تتم دراسته في نطاقه، إذ لا وجود لتعريف واحد للأسلوب –على رأيه– يتمتع بالقدرة الكاملة على الإقناع، ولا لنظرية يجمع عليها الدارسون في تناوله، مما أدى إلى ظهور تعريفات عدّة عند الباحثين في مقدمات كتبهم عن علم الأسلوب تصل إلى نيّفٍ وثلاثين تعريفاً، لكنّه يؤكد على أنّ تعريفات الأسلوب المختلفة تتمثل في مراعاة المراحل الأساسية لعملية التوصيل الأدبية، إذ ثمّة تعريف يعتمد على وجهة نظر الكاتب، وتعريفات أخرى تشير إلى خواص النص نفسه، في حين توجد تعريفات تركز على جانب المتلقي وانطباعه، وهي منتشرة في كتب تاريخ الأدب، في تحديدها للأسلوب الفردي والجماعي، وقد يتألف التعريف الواحد من هذه العناصر الثلاثة مجتمعة[٢].

وقد قدّم **فضل** في كتابه (علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته) دراسةً مهمة وشاملة لمصطلح (الأسلوب) اعتمد فيها المنهجين الوصفي والتاريخي متتبعاً إياه من باحث إلى باحث، ومنذ النشأة حتى التطور، لكن من دون أن يقدّم لنا تعريفاً إجرائياً قد اطمأنّ إليه أو تبنّاه على وجه التحديد، بيد أنه يذكر أنّ التعريف الدقيق للأسلوب هو الذي ورد في مقدمة ابن خلدون من أنّه هو "القالب أو المنوال"، وأنّ المفهوم التركيبي الدقيق للأسلوب–عنده– اصطلاحي لا لغوي، ثم يورد تعريفات الباحثين جميعها، ويفنّدها الواحد تلو الآخر.

خاتمة:

وهكذا نجد أنّ مفهوم الأسلوب في تراثنا القديم قد ارتبط بمساراتٍ عدّة، فهو يدلّ على طرق العرب في أداء المعنى (أي الخواص التعبيرية التي تتناسب وكيفية أداء المعنى المقصود، وكيفَ أنَّ هذه الخواص هي التي تبرز الدلالة التي يهدف إليها الأديب)، ويرتبط مفهومه بالنوع الأدبي – عند بعضهم الآخر– بمعنى أنّ هذه الخواص التعبيرية تتمايز من جنس أدبي لآخر، فللشعر طرقه، وللنثر أساليبه، وقد يمتدّ هذا المفهوم إلى الاتصال بشخصية المبدع ومقدرته الفنية، وإمكاناته الخاصّة في اختيار مفرداته، ثم تركيبها على نحوٍ مميّز في الشعر أو في النثر، وقد يتساوى مفهوم الأسلوب مع مفهوم (النظم) كما ردده القدماء على ما بينهم من فروق في مفهومه، بيد أنّ المحدثين لم يبتعدوا عما جاء في تراثنا النّقديّ ، فقد قرؤوه جيداً ووعوه، ومن ثمّ استفادوا مما قدّمته الدراسات النقدية والبلاغية القديمة، كما أضافوا و جدّدوا من خلال استفادتهم من معطيات علم اللّغة الحديث، ومناهج الدّرس الأسلوبيّ، فكان إسهامهم لا يقلّ أهميةً عمن سبقهم، لما له من دور كبير في سد الثغرات، ومواكبة التطور المعرفي على الساحتين العربية والعالمية.

[١] المرجع السابق نفسه، ص٦٣-٦٤.

١ صلاح فضل: علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته، ط١، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٨م، ص٩٥.

المصادر والمراجع

١- إحسان عبّاس: *تاريخ النّقد الأدبي عند العرب*، ط١، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ١٩٧١م.

٢- أحمد الشايب: *الأسلوب دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية*، ط٢، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مصر، ١٩٤٥.

٣- أمين الخولي: *فن القول*، مكتبة دار الكتب المصرية، القاهرة، مصر، ١٩٩٦.

٤- الباقلاني: -*إعجاز القرن بهامش (الاتقان في علوم القرآن)، تحقيق السوطي، مطبعة مجازي*، ج١، القاهرة، د.ت.

- إعجاز القرن بهامش (الاتقان في علوم القرآن)، تحقيق السوطي، مطبعة مجازي، ج٢، القاهرة، د.ت.

٥- الجاحظ: البيان والتبيين، *تحقيق عبد السلام محمد هارون، مك*تبة الخانجي، ج١، القاهرة، ١٩٩٥م.

٦- أبو الحسن حازم القرطاجني، *منهاج البلغاء وسراج الأدباء*، تحقيق محمد الحبيب ابن الخوجة، ط٣، الدار العربية للكتب، تونس، ٢٠٠٨م.

٧- الخطابي: *بيان إعجاز القرآن ضمن كتاب "ثلاث رسائل في إعجاز القرآن"، تحقيق محمد خلف الله أحمد وسعد زغلول سلام*، ط٣، دار المعارف، القاهرة، مصر، ١٩٧٦م.

٨- ابن خلدون: المقدمة، *تحقيق المستشرق الفرنسي* أ.م كاترميد، مج ٣، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، ١٩٩٢م.

٩- سعاد بولحواش: *شعرية الانزياح بين عبد القاهر الجرجاني وجان كوهن*، رسالة ماجستير، إشراف الدكتور محمد زرمان، جامعة الحاج لخضر- باتنة، الجزائر، ٢٠١١-٢٠١٢.

١٠- د. سعد مصلوح: -الأسلوب دراسة لغوية – إحصائية، ط٣، عالم الكتب، القاهرة، د.ت.

-في النص الأدبي دراسة أسلوبية إحصائية، ط ١، عين الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، مصر، ١٩٩٣م.

١١- سيبويه: الكتاب، ط٣، *مؤسسة الأعلمي للمطبوعات*، ج١، بيروت، ١٩٩٠م، ص ٢٤.

١٢- شكري عياد: – *اللغة والابداع*، ط١، دار انترناشيونال برس، القاهرة، ١٩٨٨م.

- *مفهوم الأسلوب بين التراث النقدي ومحاولات التجديد*، مجلة فصول، مج ذ، ع (١)، القاهرة، ١٩٨٠م.

١٣- د. صالح مطر: *في التطبيقات الأسلوبية*، مكتبة الآداب، القاهرة، ٢٠٠٤م.

١٤- *صفاء محمد ضياء الدين فنخيزة*: الأسلوب عند نقاد القرن الرابع الهجري، رسالة ماجستير، إشراف الدكتور مصطفى محمد أبو شعالة، جامعة مصراته، ليبيا، ٢٠٠٢- ٢٠٠٣م.

١٥- ابن طباطبا: عيار الشعر، *تحقيق عباس عبد الساتر*، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ٢٠٠٥م.

١٦- طه عبد الرحمن المكي: *الأسلوب والأسلوبية دراسة تطبيقية على شعر أبي الطيب المتنبي، رسالة ماجستير، إشراف الدكتورة سلوى عثمان أحمد محمد*، جامعة النيلين، ٢٠١٦-٢٠١٧م.

١٧- د. عبد السلام المسدي: الأسلوبية والأسلوب، ط٣، الدّار العربيّة للكتاب، تونس، ١٩٨٢.

١٨- عبد القادر زين ج الجلفة: *الأسلوب بين القدامى والمحدثين*، مجلة التراث، العدد (٩)، الجزائر، ٢٠١٣م.

١٩- عبد القاهر الجرجاني: -*أسرار البلاغة، تحقيق محمود شاكر، دار المدني، جدّة، د.ت.*

-*دلائل الإعجاز، تحقيق محمود شاكر، الخانجي*، القاهرة، مصر، ١٩٨٤م.

٢٠- ابن قتيبة: *تأويل مشكل القرآن، تحقيق إبراهيم شمس الدين*، دار الكتب العلميَّة، بيروت، لبنان، ٢٠٠٧م.

٢١- د. لين جمعي: *المعنى ومعنى المعنى في ضوء الانزياح الأسلوبي عند عبد القاهر الجرجاني من خلال كتابه "دلائل الإعجاز"*، مجلة كلية الآداب واللغات، جامعة محمد خيضر- بسكرة، جانفي، ٢٠١٩م، ع (٢٤).

٢٢- *د. محمد عبد المطلب: - البلاغة والأسلوبية، ط١، الشركة المصرية العالمية للنشر- لونجمان، مصر، ١٩٩٤م.*

- قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني، ط١، الشركة المصرية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ١٩٩٥م.

٢٣- مريم مرابط: *البنية الأسلوبية في قصيدة البكاء بين يدي زرقاء اليمامة لـ "أمل دنقل"*، رسالة ماجستير، إشراف الدكتورة دلال فاضل، جامعة العربي بن مهيدي، الجزائر، ٢٠١٦- ٢٠١٧.

٢٤- د. مصطفى ناصيف: *نظرية المعنى في النقد العربي*، دار الأندلس، بيروت، لبنان، د.ت.

٢٥- منذر عياشي: *الأسلوبية وتحليل الخطاب، ط١، مركز الإنماء الحضاري، حلب، ٢٠٠٢م.*

٢٦- *نادية طهار: الخصائص الأسلوبية في* شعر " محيّ الدّين بن عربي"، رسالة دكتوراه، إشراف الدكتور محمد عباسة، جامعة عبد الحميد بن باديس - مستغانم، الجزائر، د.ت.